الإنترنت وكفايتها للبحث العلمي

د. حسني عبد الرحمن الشيمي

وزير مفوض. هيئة البحوث والدراسات والتخطيط. جامعة الدول العربية

hsheemy@yahoo.com

مستخلص:

يعالج المقال ظاهرة تكاد تتكرر مع كل تقنية جديدة تأخذ طريقها إلى الاستخدام، ويقصد بها هنا الافتقار إلى التوازن في تقدير قيمة ما يستحدث من تقنيات. حدث ذلك مع المصغرات بأنواعها المختلفة. وحدث أيضا مع الحواسيب بأجيالها المتعددة. وها هو يحدث مع النتاج البازغ لتعانق ثورات الاتصالات والحواسيب والمعلومات، أي شبكة الشبكات العالمية أو الإنترنت، إنها أداة معرفية لم يشهد لها التاريخ مثيلا. وعبارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا هذه يمكن إطلاقها على عدد المستفيدين فيها (حوالي خمسمائة مليون) وعلى عدد الحواسيب المرتبطة بها (تقترب من ١٠٠ ألف) وعلى عدد الصفحات المحتواة فيها (أكثر من بليوني صفحة).

وقد أعزت هذه السمات فريقا من الناس، بل من الباحثين، فاعتبروها المصدر «شبه المطلق» كلما ألمت بهم حاجة بحثية أو معرفية، وهجروا غيرها من المصادر ناظرين إليها بأدنى مما تستحق من التقدير.

ويقتضي التوازن الذي ننشده في التقييم الإجابة عن أسئلة من مثل: ماذا تقدم الإنترنت من إيجابيات؟ وفي المقابل ماذا عن السلبيات؟ هل تكفي الباحث مؤونة البحث عن مصادر أخرى خارجها؟ وهل تعد مصادرها مثالية؟ هل يتيسر البحث فيها دوما؟ وماذا عن المحتوى! هل تؤخذ الحقائق الواردة على صفحاتها على أنها أمور مسلم بها؟

تمهيد:

ليس هنا مجال الحديث عن ماهية الإنترنت وتاريخها وأهميتها... إلخ فتلك أمور أفاضت فيها كثرة من الكتب باللغة العربية، فضلاً عن أضعافها باللغات الأجنبية، إنما تدور المعالجة هنا في نطاق عنوان الدراسة من خلال محاولة للإجابة عن أسئلة طرحت على النطاق العالمي، وأرانا أشد حاجة إلى طرحها على المستوى المحلي في بيئتنا المعلوماتية، التي لم يشتد عودها بعد، من مثل:

هل وجود حاسوب في بيت أي منا ووصله بالإنترنت يزيح عنا وجود الكتاب وغيره من الوثائق المطبوعة بشكلها الورقي؟ وهل يكفينا ذلك عناء قراءة سطور الصفحات وحبر الحروف؟ هل يتشكل الباحث العلمي من خلال الجلوس إلى الجهاز ولمس أزرار لوحة المفاتيح؟

وإذا تركنا المستوى الفردي، وعرجنا على المستوى المؤسسي، فهل يبرر اقتناء مجموعة حواسيب أو منافذ حاسوبية لا تتجاوز أصابع اليدين، ووصلها بالإنترنت، ركْنَ مجموعة

الأوعية المطبوعة وأدواتها الببليوجرافية وفي مقدمتها الفهارس، وتحويل اعتمادات تنمية المقتنيات إلى هذه الواجهة التقنية التي لا تكاد تتجاوز «عينة العرض» إلى ذيوع الاستخدام! (أي أن الاستخدام ينحصر في عدد قليل للغاية لمجرد إظهار الرقي التقني أو التعلق بالتقنيات).

إن واقع «التعاطي» التقني عندنا وبخاصة على الإنترنت أحوج إلى إجابة متأنية على مثل هذه الأسئلة، لأن التطبيقات السلبية تجاوزت مؤسسات التسلية أو الثقافة العابرة إلى المنظمات أو المؤسسات ومواقع الدرس والبحث ولم تسلم منه المكتبات ومراكز المعلومات داخل المدارس، بل - مع الأسف - مكتبات بعض الكليات الجامعية. فلنتعرف إذن على المزايا الجوهرية أو الخصائص الإيجابية ذات العلاقة بالأعمال الفكرية والبحثية وصناعة القرار، وكذلك المآخذ أو المحاذير التي تقابلنا في نفس السياق، نبدؤها بالأولى على النحو التالي..

مزايا الإنترنت إزاء الورقيات:

من الواضح أن الوثائق الإلكترونية من خلال الإنترنت (وغيرها) تشترك في خصائص ترجح تميزها عن قرينتها المطبوعة، ومن أبرز هذه الخصائص ما يلي:

١ - سهولة الإعداد:

تتسم الوثائق الإلكترونية بسهولة الإعداد، أو يمكن تكوين محتواها ومراجعته وقصة (تقطيعه) وتشكيله وتدويره، كما يمكن لملامحه المتحركة (الديناميكية) مثل صفحة المحتويات أن تعدل وفقًا لاحتياجات معينة، كما تتمتع الأشكال المختلفة من الوسائط المتعددة (النصوص، والصور، والسمعيات، والمرئيات) بإمكانية الربط بينها داخل الوثيقة الواحدة، وأيضا داخل أكثر من وثيقة، ، ولأكثر من مرة.

٢ - الجمع بين الاستشهادات والنص الكامل:

إن التقنيات التي انبثقت الإنترنت من خلالها جعلت من الممكن المشاركة في بيانات البحث بلمسة واحدة على لوحة المفاتيح. ففي الماضي كانت مقالات الدوريات (المجلات) تشتمل علي استشهادات للبيانات الأصلية أي إشارات إلى مصادر تتضمن: المؤلف والعنوان والطبعة ومكان النشر... إلخ، لكن كان على القارئ أن يحصل على «جسم» المصدر (الكتاب/ أو المقال/ أو التقرير) من المكتبة، أما الآن فإن من الممكن للمؤلفين الأفراد أن يستحضروا المادة المستشهد بها على الصفحة الرئيسة Home page، ومن ثم يسهمون في تكون بيئة من الاتصال الفردي لعالم المعلومات. وهناك تقنية يشيع استخدامها الآن ونعني بها بروتوكول نقل الملفات File Transfer Protocol التي تتيح للأشخاص والهيئات أو تنقل البيانات هنا وهناك، ومع تضاعف قوائم النقاش أو الحلقات النقاشية List Serves والصفحات الخاصة فقد غدا لدى الدارسين فرصة أكبر لتجاوز الإمكانات المجردة للصفحة المطبوعة[1].

٣ـ الجمع بين الباحثين

تجمع الإنترنت بين الفردية الخاصة جداً، والكونية الواسعة جداً[٢]، وإذا كان الاتصال الفردي أمراً أقرب إلى الشيوع فإن الإمكانات التقنية للإنترنت تؤمّن أيضًا فرصة البحث الجمعي أو المشترك الذي يتجاوز الحدود الإقليمية والثقافية. وعلى سبيل المثال فإن فرق البحث التخيلي Virtual تنشأ كل يوم على الصعيد الكوني للإنترنت. وباختصار الزمن والجغرافيا فإنه يمكن للعلماء الوصول إلى نتائج البحوث بسرعة، وتحسين تناقل المعلومات خلال تبادلها، ودعم الأشكال النشرية الجديدة بما فيها السمعيات والبصريات، وفضلا عن ذلك فإن البنية الفكرية الجديدة لن تحسن إيقاع عجلة البحث فحسب، وإنما ستسهم أيضًا في تخفيض مقابل المعلومات وفي الوقت ذاته تحسن من إنتاجية المحررين والمراجعين[٤].

وتدل النتائج المستخلصة من البحوث التي أجريت في هذا الصدد على أن الباحثين يفيدون من المصادر الإلكترونية كقناة للاتصال بالزملاء، المعروفين وغير المعروفين، وفي التوصل إلى أفكار للبحث من خلال الاتصالات والمناقشات التي تدور عن طريق القوائم البريدية أو المجموعات الإخبارية، وفي تفريغ الطبعات المسبقة Preprints، أو المستلات Reprints، وفي المعلومات المتصلة بالبحث. إن الاتصال عن طريق الشبكة يكفل للباحثين الوصول إلى أعداد كبيرة من المتلقين على نحو يتم بالكفاءة، ومن ثم فإنه يؤدي إلى اتساع دائرة نموذج «الجامعات الافتراضية». كذلك يعتمد الباحثون على المصادر الإلكترونية بوصفها مصادر معلومات مفيدة فريدة وحديثة بالنسبة للبحث، وغالبًا ما يرجعون إلى المصادر الإلكترونية عندما يكونون بحاجة للحصول على بعض المعلومات الحقائقية، أو معلومات الخلفية الأساس/ أو المعلومات الخاصة بالاتصالات، وذلك بالنسبة لما يقومون بإعداده من بحوث. كذلك تكفل التقنية الإلكترونية للباحثين سبلاً ذات كفاءة لمتابعة التطورات الراهنة في مجال البحث على نحو يضمن لهم الوقوف على ما هو جار. وفضلا عن ذلك توفر المصادر الإلكترونية ثروة هائلة من البيانات الإحصائية أو النصوص اللازمة لأغراض البحث. كذلك يستخدم بعض الباحثين أدوات الإنترنت للاتصال بمن يشكلون موضوعات لبحوثهم (دراسات التراجم أو السير)[٥].

٤ـ ديموقراطية النشر والتأليف:

منذ اختراع جوتنبرج ظل النشر الطباعي والإلكتروني في نطاق السيطرة من جانب الناشرين... إذ فيما عدا الحالات المحدودة التي يتحمل فيها المؤلفون نشر أعمالهم بأنفسهم من خلال المطابع التعاونية، فإن أغلب الأعمال الفكرية كانت تمر عبر مؤسسات النشر، وقد أحدثت الإنترنت في بدايتها من خلال وسائلها وأدواتها المبكرة (وبالرغم من أنها كانت تعتبر «خام» تمامًا بالمقارنة بالمنتجات النشرية التي قدمها الناشرون آنذاك) الثورة الأولى في عالم النشر[٦]. إننا أمام ما يمكن أن يطلق عليه، «كون» معلوماتي يتضمن كما هائلا من المعلومات... تنطلق من مركز يكاد يكون مجهولاً، ويتسع بسرعة الضوء مندفعًا نحو لا نهائي لا يدركه

الخيال. ونظرًا لأن المعلومات الآن عبارة عن كهرباء فليس هناك حدود تقيدها[٧].

والآن فإن الشبكة العنكبوتية العالمية (الوب) World Wide Web (www) تتيح لأي إنسان معرفة بكيفية استخدام محرر صياغة لغة النص الفائق A Hyper Text Markup Language الفرصة لإعداد صفحة بث عام، كما يمكنه أن يقوم بنشر صفحة خاصة أو شخصية A Home Page، بل يمكن أن ينشئ موقعًا كاملاً. لقد أصبحت الشبكة العنكبوتية العالمية أكبر مطبعة تعاونية[٨]. ومن الناحية النظرية فليس هناك ما يحول بين الملايين الخمسمائة المستفيدين من خدماتها أن يكونوا ناشرين، بل الأدهى من ذلك أنه بنفس هذا القياس ليس هناك ما يحول (نظريًا) بين البلايين الخمسة من البشر الذين يقطنون الأرض وبين أن يكون لكل منهم صفحة خاصة بمعارفه وآرائه[٩].

ثانيا: سلبيات الإنترنت:

١ ـ تجاوز الدور التقييمي لإخصائي المعلومات:

إذا كانت مزايا «الإنترنت» سواء ما توقفنا عنده فيما سبق أو ما سوى ذلك مما يعرفه الذين تجذبهم إمكاناتها المتعددة، تأخذ الغلبة فيما يشيع بين الناس، فإن أصحاب الفكر أو النظر الكلي إلى الأمور ينفقون مع الذين يرصدون الإيجابيات وبخاصة آخر ما أوردناه (رقم ٣) عن ديموقراطية النشر التي جعلت من النشر على الإنترنت مستودعًا شاسعًا للمعرفة البشرية، يتجاوز «الضخامة» المعروفة لمحتويات مكتبة الكونجرس (مائة مليون مادة أو ما يقاربها) فضلا عن تنظيمه وفهرسته من خلال مكتبات العالم، ليكون سهل المنال للمستفيدين، إلا أنهم لا يغفلون حقيقة أن ذلك المخزون الهائل عبارة عن خليط هائل من الحابل والنابل، يجعل البعض يصفها ـ رغم المبالغة ـ بأنها (أي الإنترنت) النشر التافه لخفاف العقول[١٠] Vanity Publishing for morons. والواقع أن الحقيقة تقع بين هذين الرأيين المتناقضين، فماذا ننتظر من نافذة تتسع لأهل الأرض أو تكاد، إلا أن تعكس الصالح والطالح والمفيد والتافه والعلمي والخرافي... إلخ في تنوع غير مسبوق وكم أيضًا غير مسبوق، أمام بشر قدراتهم العقلية والجسمية وأعمارهم الزمنية لم يطرأ عليها نمو فائق غير معهود.

وقد دفع ذلك كاتب هذه الورقة في كتاب له عن: المعلومات والتفكير النقدي[١١] إلى اعتبار الإنترنت تحديًا من نوع جديد أمام القدرة التقييمية أو النقدية لأكثر الناس ـ من الناحية النظرية ـ مهارة في هذا الخصوص أعني إخصائي المعلومات، وأضاف أن إرهاصات (أو المناداة بـ:) اضطلاعه بالدور التقييمي أو الانتقائي تكاد تغلق.

لقد كان التقييم والانتقاء ممكنًا من خلال اختيار الأوعية لتزويد مؤسسات الأوعية بها عندما كان الكتاب هو «وحدة التعامل» الرئيسية. ظل الأمر على ذلك عندما تعددت وتنوعت أشكال تلك الأوعية في الوقت السابق لاستخدام الحاسوب على نطاق واسع.

وفي ظل النظم الحاسوبية، كان الدارسون يتحدثون إلى وقت قريب عن مهارة رجال

المعلومات في اختيار النظم الببليوجرافية أو قواعد البيانات أو نظم استرجاع النص الكامل، وكلها تبني على تقييم وانتقاء.

أما الآن ومع انتشار مواقع الإنترنت، والزيادة الهائلة في أعداد المستفيدين منها، وضيق أو إلغاء المسافات المكانية وضيق أو إلغاء المسافات (الوظيفية) بين المؤلف والقارئ أو الناشر والقارئ وأيضًا إلغاء أو زوال السيطرة على الغث والسمين من الفكر، فقد أصبحت مهمة الانتقاء والتقييم أمرًا صعبًا إن لم يكن مستحيلاً.

وأمام هذا المناخ النشري الجديد فقد تجاوز الدور الانتقائي والتقييمي قدرة رجال المعلومات. لقد كانت مؤسساتهم في السابق - في وضع مقارب لمؤسسات النشر - قنوات رئيسية يتحتم على الأعمال الفكرية أن تمر من خلالها إلى المستفيد. أما الآن فيتزايد تدفق المعلومات من حولها دون أن تملك حيالها شيئًا اللهم إلا محاولة التزود منها بنصيب يدعم دورها.

٢ - سلبيات إزاء المستفيدين:

(أ) مواجهة الانهمار المعلوماتي:

إن العبء الذي يواجهه القائمون على خدمات المعلومات مع الوضع «النشري» الجديد: يواجه مثله المستفيدون وبخاصة الباحثون أو الدارسون منهم، فالشكوى التي كانت بالأمس من قلة المصادر وندرتها تتحول الآن في أغلب القضايا مدار البحث إلى الشكوى من انهمار المصادر بشكل يصعب السيطرة عليه، فعند البحث في الإنترنت يمكن أن يتوفر لدى المرء عشرات الألوف من الإشارات أو الاستشهادات، وفي المقابل لا تتوافر آلة البحث التي يمكنها تنقية نتائجه بحيث يرسو على الاستشهادات الموثوقة والشاملة لأنه لا يوجد في مسار القنوات (أو مسارات المرور) عقل بشري يستخرج وينقد ويختار المعلومات. وإذا أضفنا إلى مشكلة «الكم» مشكلة «الإغراء» التي ترجع إلى إمكانات «الوب» في عرض مصادرها بشكل آسر (شديد الجاذبية) من خلال تزويد النص بالرسوم التخيلية وإخراجه عبر الوسائط المتعددة لأدركنا مدى تعقد الموقف.

وهنا نجد أنفسنا في موقف لا نحسد عليه، إذا ماذا يمكن أن نفعل؟ هل سيؤدي بنا البحث إلى الوصول إلى المعلومات التي نحتاجها؟ هل ما يقع تحت أيدينا يدخل في الحقائق أم أنه ضمن الآراء؟ وهل هذه الآراء لها ما يسندها أم أنها أحاسيس أو انطباعات؟

إن لهذه الأسئلة خطورتها عندما نعلم أن (الشبكة العنكبوتية العالمية) WEB عليها الآن أكثر من ٣٢٠ مليون صفحة(*)، وأنه بالبحث فيها يمكن استرجاع ١٥٠,٠٠٠ استشهاد (إشارة ببليوجرافية) لحالة بحث واحدة(١٢).

إن الإنترنت تمتع بالحرية، وإتاحة الفرصة دون تمييز، والانفتاح وسهولة المنال والخصوصية ولذا فإن المقولة القديمة: «إن العالم هو محارتي» قد تجسدت الآن في الإنترنت. ولكن غواصي البحار قد يغرقون في المياه العميقة والأمواج السيئة(١٣).

(*) تشير التقديرات إلى أن هذا الرقم يصل الآن إلى حوالي ٤ بلايين صفحة.

(ب) عدم إرساء معايير الاستشهاد بالمصادر الإلكترونية:

ليس هناك سياسات أو توجيهات وضاحة المعالم فيما يتعلق بالاستشهاد بهذا النوع من المصادر الإلكترونية. وربما كان الافتقار إلى قواعد محددة واضحة المعالم تتعلق بالاستشهاد بالمصادر الإلكترونية، من بين العوامل الكامنة وراء افتقار معلومات (أو بيانات) الوصول إلى الاستشهادات الإلكترونية في مقالات الدوريات إلى الدقة والاكتمال. ومن العواقب المباشرة المترتبة على ذلك صعوبة أو استحالة الاهتداء إلى بعض المصادر الإلكترونية المستشهد بها[١٤].

ومن بين مشكلات الاستشهاد بالمصادر الإلكترونية ما لا يعود إلى الطبيعة الجوهرية لهذه المصادر، بقدر ما يعود إلى تكوين الباحثين واتجاهاتهم إزاءها، حيث لا يميل بعضهم إلى الاستشهاد بهذه المصادر نظراً لشكلها وتشمل العوامل التي تؤدي بهم إلى ذلك ما يلي:

(أ) تفضيل الاستشهاد بالمقابل الورقي أو المطبوع.

(ب) عدم الدراية بكيفية الاستشهاد بالمصادر الإلكترونية.

(جـ) يكتنف المصادر الإلكترونية بعض أوجه القصور كضيق فرص إتاحتها[١٥].

جـ. العمر الزمني العارض للمصادر الإلكترونية:

تتسم المصادر الإلكترونية، في الوقت الراهن، بالافتقار إلى الاستقرار، فكما لاحظ تيلور Taylor 1990 «يقدر عدد من اختصاصي الإنترنت سنة الشبكة العنكبوتية بما يتراوح بين سنة وثمانية أسابيع» (p.11-12). وقد تأكدت هذه المشكلة من جانب الباحثين المشاركين في إحدى الدراسات، ممن وضعوا الاستقرار أو الثبات في أدنى مراتب خصائص المصادر الإلكترونية، وأشاروا إلى هذه المشكلة بوصفها حاجزاً يحول دون الإفادة من المصادر الإلكترونية والاستشهاد بها. وترتبط هذه النتيجة بما انتهت إليه الدراسات السابقة بشأن انخفاض معدل توافر فرص الوصول إلى المصادر الإلكترونية المستشهد بها بشكل ملحوظ[١٦].

د. تقلب المصادر الإلكترونية وعدم استقرارها:

يعرب المستفيدون (من الباحثين) أيضًا عن قلقهم تجاه الطابع الديناميكي للمصادر الإلكترونية، والذي يجعل من الصعب العثور على هذه المصادر أو معاودة الاهتداء إليها. ونظراً للتقلبات المتكررة لصفحات الشبكة العنكبوتية، فإن الباحثين قد يواجهون صعوبات في الإفادة من المصادر الإلكترونية، والاستشهاد بها ونشرها. وقد شملت الأمثلة على هذه التعليقات التي تعبر عن القلق:

«يبدو أن أكثر الجوانب مراعاة للإحباط بالنسبة لي في الإفادة من الإنترنت الحاجة إلى التحقق من المصادر، وعدم القدرة في غالب الأحيان على العثور على المواد نفسها، نظراً لتغيرها أو إزاحتها عن الإنترنت».

«أتوقع لعملي أن يقرأ بعد خمس سنوات من الآن، ومن ثم فإن الناس ينبغي أن يكونوا

قادرين على الوصول إلى المصادر التي استشهد بها. ولا يمكني أن أتأكد أن ذلك سيحدث فعلاً، في هذه المرحلة. فالقضية الرئيسية في نظري هي الاستقرار. ويحدث في غالب الأحيان الاهتداء إلى موقع، وربما أيضًا تحديد موضعه، إلا أنه سرعان ما يختفي»[١٧].

يؤدي الطابع الديناميكي (المتحرك) للمصادر الإلكترونية إلى صعوبة التعامل المطرد الدقيق مع المعلومات، حيث يصبح من الصعب التعامل مع نسبة مئوية عالية من المصادر الإلكترونية المستشهد بها، كما يمكن لتعقد إجراءات الاتصالات واكتساب الحق في الإفادة أن يكون من الحواجز التي تحول دون لإفادة من المكتبات الإلكترونية (Bishop, 1998).

هـ- العجز عن إحكام الفكر:

يمكن الحديث في هذه القضية بشكل أكثر وضوحًا إذا جئنا للكتب وقارناها بما سبق من خصائص للإنترنت، صحيح أننا سنجد الكتب غير ديمقراطية ولا تتوافر فيها الحرية، إلا أنها تصدر عن ناشرين لهم تقديرهم واحترامهم يحرصون على تبني التجميعات الأصلية للمعرفة والمعلومات المنظمة التي تنساب فيها[١٩]، ومن ثم فإنها لا تفتح الباب على مصراعية لكل من يريد نشر أفكاره أو للتجميع العشوائي للآراء والبيانات التي لا رابط بينها، فالكتب تحكمها قيود التحرير والنشر، ولابد أن تتحقق لها بعض سمات الجدارة (والجدوى) التجارية أو الدراسية، أو- في الحالات المثالية- كلاهما معًا. وبرغم بعض الانتقادات الاجتماعية التي تشكو من «تكهين» الأفكار وتضيق مجال النشر أمام الثقافة الشعبية، فإن ناشري الكتب يحاولون دائمًا استعراض السوق من أجل التقاط أفكار الكتب، ويجعلون الأساس في اتخاذ قرار النشر (هو) توفر فرصة جيدة لبيع نسخ الكتاب. فالكتاب إذا، برغم ما يوجه إليه من انتقادات، يخضع لانتقاء فكري بينما تعد الإنترنت أداة أسهل في التعامل. إلا أن هذا لا يعني الضرورة- كما أشرنا من قبل- أنها المكان الأفضل للمعلومات البحثية والأكاديمية[٢٠].

ولا تغير إمكانات النص الفائق، الذي ينبني على الإبحار من وثيقة إلى وثيقة أخرى، من الموقف كثيراً؛ إذ مع كل مزاياه، فإن النص الفائق ليس «بناء كليًا» وإنما هو أقرب إلى تجميع الأجزاء[*]، ولا ينهض التقدم الفكري على الجزء (أي جزء من القصة بدلاً من القصة كلها).

وهذا يدعونا ونحن نتعايش مع «الوب» كعنصر مكمل لحياتنا ومكسب لمساعينا، أن نستخدمها كأداة نافعة على أن نحذر من فتح الباب أمامها للتحكم في طريقة تفكيرنا[٢١].

إننا في حاجة إلى العمليات التجارية التي يحفل بها النشر (التقليدي) حتى يمكن لكل الناس أن يدفعوا لإبداع القصص أو المعلومات، والحكم على جدارتها وتحسين نوعيتها ودعم وجودها الذاتي، وتوصيلها إلى القراء.

وهنا تقوم تلك العمليات التجارية اللازمة لشراء الكتب- على خلاف ما يحدث من الوصول السريع إلى «الوب»- بدور الحاجب النوعي الذي لا يسمح «بالمرور» إلا للعمل الفكري الذي يتمتع بالجدارة سواء للتسلية أو

الدراسة وهو ما لا تستطيعه الإنترنت، ولن تستطيعه حقيقة.

إننا في حاجة إلى عالم تحيا فيه المعلومات في أشكال متعددة تمنحنا الاختيار والحرية و «مذاق» الكيف والكم في الشكل الذي يروقنا. وتظل الكتب أشبه بالعجلة تحملنا من مكان إلى مكان، بينما الإنترنت تحملنا أحيانا نحو الغامض والمجهول[٢٢].

(و) التأليف أو أصالة العمل الفكري:

يطرح كل من «كروفورد» و «جورمان» أسئلة حول الاطمئنان إلى التأليف أو أصالة العمل على النحو التالي:

كيف يمكن للمستفيد من مصدر إلكتروني أن يتأكد من أن النص الذي يسلمه هو نفس النص المطلوب أو مطابق له؟ وإذا استخدم المستفيد نصًا إلكترونيا بناء على الاستشهاد (البيانات البيلوجرافية المحددة لهوية العمل الفكري) فكيف يتأكد من أن النص الذي تلقاه هو النص الذي جرى الاستشهاد به؟

ثم كيف يمكن للمستفيد أن يتأكد أن النص الذي بين يديه قد تم تأليفه بالفعل من قبل الشخص الذي ورد عليه باعتباره مؤلفًا؟

وإذا كان بعض الناس يرون أنه لا بأس من «ضياع» المؤلف وسط هذه العملية التبادلية للإفادة والإضافة إلا أن ذلك القول قد يصلح لبعض المعلومات الحقائقية أو الإحصائية، أما بالنسبة للباحث العلمي الذي يريد أن يتتبع الفكرة في أصولها الأولى وتطوراتها اللاحقة، والدور الإبداعي في مراحلها المختلفة فنسبة السبق أو الفضل أو الإسهام جزء لا يتجزأ من الحركة العلمية[٢٣].

خاتمة: الإنترنت وأولويات القرن:

بالنسبة لأولئك المتعطشين للتغيير، فإن الإنترنت تعد رائعة ومثيرة، أما الذين يتطلعون إلى محتوى موثق ومشروع فإنهم سيصابون على الدوام بخيبة أمل. فهذه هي البيئة الرقمية digital frontier وهذه هي طبيعتها، وليس هناك ما يدعو لاعتبار مستخدمي الإنترنت مكتشفين أو حتى مقتحمين. وما يهمنا أن نقوله في هذا السياق هو أنها، أي الإنترنت، إيذان بعالم تعد فيه المهارات المطلوبة للتواؤم مع التغير أكثر أهمية من أي مهارة أخرى[٢٤] ومن ثم فلا ينبغي أن تحظى العلاقة بين «الإنسان والآلة (التقنية)» بأولوية مفرطة على حساب التفكير والاعتماد على نفس وبناء القدرات الشخصية.

وإذا ما بالغ أحد الكتاب فوصف الإنترنت، بأنها النشر التافه لخفاف العقول فإننا نفضل ما يقوله «مالكون»، عندما ينصحنا بألا نثق في كل شيء نقرؤه على الإنترنت وأن يكون استخدامنا لها كمنصة انطلاق، وليس نهاية المطاف في جمع وتوثيق معلوماتنا حول موضوع ما[٢٥]، ونؤكد - بتقدير - على أنه في القرن الحادي والعشرين سيصبح التقييم النوعي للأفكار والمعلومات، أو ما يسميه أحد الدارسين ضرورة ترتيب الفوضى Make order out of chaos في مقدمة الأوليات بالنسبة لمؤسسات المكتبات والمعلومات والمنظمات (الأخرى) والأفراد المنضوين في عملية الاتصال، وبخاصة الاتصال من أجل الدرس والبحث.

لقد لزم الإنسان الغربي قرونا كي «يتحرر» من مختلف الوصايات الدينية (الكنسية) والسياسية والاجتماعية والعسكرية، وبعد حصوله على حرية التفكير والتحرك والتعبير ها هو اليوم يقرر أن يسجن نفسه داخل شبكة الاتصال التقني. فهو مربوط بها باستمرار عبر الهاتف المحمول والفاكس (المشيلي) والهاتف الثابت والبريد الإلكتروني. ولا مناص هنا من تساؤل ضروري: إذا كان هذا حال الغرب، فما بالنا بمن لم يعيشوا - منذ قرون - القدر الضروري من حرية «التفكير والتحرك والتعبير» إذا ولجوا ساحة التقنيات دون أن يحصنوا بالفكر الواقي للانتفاع الصحي بها.

وعلى أي حال فهناك من يرى - وكاتب هذه السطور منهم - أن الحصول على المعلومات دفعة واحدة من الإنترنت، دون مجهود يذكر لا يترك مجالاً كافيًا للتأمل والتفسير، ومن ثم فإن قدرة الإنسان على الربط والتحليل والتفسير، تتضاءل. إن الساعات وربما الليالي الطويلة التي ينفقها المرء لتأمل التفاصيل تعمق الجذور وتوفر رؤية للإطار الكلي للقضايا، وإدراكًا للفلسفة الكلية الكامنة وراء الظواهر[٢٦]. ولعل ذلك النوع من التفكير هو الذي يبقى على ملكة الإبداع، التي تذبل مع ظلام أي سجن حتى لو كان تقنيًا!.

الهوامش:

Schamber, Linda. What Is a Document? Re-(١) thinking The Concept In uneasy times. JASIS vol. 47, no. goseptember 1996. p. 670.

Tonkery, Dan. Scholarship in the twenty first(٢) century: surviving the next millennium. The Serials Librarian. vol. 34, no. 1/2 (1998) p. 56.

(٣) كرسنو، كرو. (رئيس تحرير الويرلدبيير The World paper) تخصيص الماء والهواء! سوبر ماركت المعلومات. الأهرام (٢٢ صفر ١٤٢٢هـ، ١٧ يونه ١٩٩٨م). ص ٣٥.

(٤) Tonkery, Dan. Op. cit. p. 61.

(٥) زهانج، ين. الإفادة من مصادر المعلومات الإلكترونية المعتمدة على الإنترنت لأغراض البحث/ ترجمة حشمت قاسم. دراسات عربية. مج ٦، ع ٣ (سبتمبر ٢٠٠١) ص ٢٢٢.

(٦) Peek, Robin. Electronic publishing grows up. Journal of the American society For Information Science vol. no. 9. (Sep. 1996) p. 665, 666.

(٧) Fast, Barry. Books in the digital world. Library Collection, Acquisitions & Technical Services vol. 33 no. 2 (1999) p 163, 164.

(٨) Peek, Robin. Loc. cit.

(٩) Fast, Barry. Op. cit. p. 164.

(١٠) Fast, Barry. Loc. Cit.

(١١) حسني عبد الرحمن الشيمي. المعلومات والتفكير النقدي. القاهرة: دار قباء، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م: ص ٦٠، ٦٢.

(١٢) Fast, Barry. Loc. Cit.

(١٣) Fast, Barry. Books in the digital word. Library collections, Acquisitions & Technical Services. vol. 33. no 2 (1999) p. 164.

(١٤) زهانج، ين. مصدر سابق. ص ٢٢٧.

(١٥) نفس المصدر. ص ٢٠٧.

(١٦) زهانج، ين. مصدر سابق. ص ٢٢٧.

(١٧) نفس المصدر. من ٢١٦، ٢١٧.

(١٨) نفس المصدر. ص ١٧٥.

(١٩) Graford. walt & Michael Gorman. Future Libraries: Dreams, Madness & Reality. Chicago: ALA, 1995. p. 78.

(٢٠) Fast, Barry. Op. Cit. 165.

(*) تحدثنا Linda Schamber عن المشكلات الكامنة في التعامل مع الأشكال الجديدة من الوثائق، وتتساءل: هل

الأقسام التي يتم «انتزاعها» من وثائق متعددة ثم يجري الربط بينهما تعد بمثابة وثيقة منفردة؟ ومن المالك الفكري لها. وسعيًا لتوسيع مفهوم الوثيقة بحيث تشمل الوثائق الإلكترونية بخصائصها المميزة تنصحنا Schamber بأن نبدأ بافتراض مؤداه أن أي وثيقة عبارة عن وحدة (مادية؟) تتضمن تمثيلاً لمعلومات وتحمل معنى وتقبل استخدامًا. وهكذا يمكن أن تعرف الوثيقة بأنها وحدة تتكون من محتوى غير خطي ممثل في مجموعة من عناصر المعلومات التي تم الربط بينها، وجرى اختزانها في وسيط مادي أو أكثر في مواقع شبكية، كونت واستخدمت من قبل شخص من الناس أو أكثر لتسهيل بعض العمليات وتنفيذ بعض المشاريع.

(٢١) Fast, Barry. Loc. Cit.

(٢٢) Ibid. p. 167.

(٢٣) Crawford, Walt & Michael Gorman. Op. cit. p. 78.

(٢٤) Clyde. p. 27.

(٢٥) ماكارتي، كافان م. **الإنترنت كمصدر للمعلومات التنافسية: مجال نشاط جديد للمكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات/** ترجمة محمد عبد الحميد معوض. دراسات عربية. مج ٥، ع ١ (يناير ٢٠٠٠) ص ١٤٤.

(٢٦) فولتون، دومينك «مجتمع الإنترنت» والوعود الزائفة.

(*) صلاح فضل. حواريات. الأهرام (١٨ ربيع أول ١٤٢٢هـ، ١٠ يونيه ٢٠٠١) ص ١٢. في نفس مقال «صلاح فضل» هناك رد على ذلك فحواه أن نظم المعلومات تعين على الابتكار السريع والوصول إلى الحلول، وحتى تسهيل برمجه الإطار «الكلي» وربما أدراك الفلسفة الكلية.. وإن كان الرد غير مقنع بالنسبة لمعد هذه الدراسة على الأقل!.